أنواع القصاص

هذه اذن هى الأسباب التى خلقت حركة التجميع خلقا ، تماهيك بطبيعة العربى التى تحب هـــذا اللون من الفن والتى تستريح اليه وتفضله .. وهى التى دفعت معاوية الى تعيين القصاص الرسميين يقصون على الناس فى المساجد ، بل هى التى جعلتنا نشهد تميما الدارى يقص فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم منذ أيام عمر ..

والصورة العـــامة التى نلمحها من كتب الأدب عن هـــذا العصر هى صورة متشابكة ، فهناك قصاص رسميون يقعدون الى الناس فى المساجد ، وهناك حلقات غير رسمية أسماها المقريزى فى خططه نقلا عن الليث بن سعد بقصص العامة ، وحكم عليها بأنها مكروهة لمن فعلها أو استمع الى ما فيها من قصص .. وهناك قصص فى بلاط الخلفية نفسه كتلك الصورة التى ينقلها الينا كتاب عبيد بن شرية من مجالس معاوية . بل ان كتاب المعمرين للسجستانى ينقل لنا أكثر من صورة لمجالس معاوية التى تروى فيها القصص والروايات .. وهناك فى كل مدينة اسلامية قصاصون، فيروى الجاحظ فى البيان والتبيين أن جعفر بن الحسن كان أول من قص فى مسجد البصرة ، وفى

المدينة كان من كبار القصاص مسلم بن جندب الهذلى وكان قاص مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ..

والواقع أن هذه الصورة تحتاج الى جلاء ، ونستطيع أن نقسم القاصين الى أنواع ثلاثة مع تداخل بين هذه الأنواع يجعل الفصل اعتباريا لا حقيقيا :

١ ــ فهناك القصاصون الكبار ، من أمثال عبيد بن شرية ووهب بن منبه ممن كان يأخذ عنهم غيرهم ، وممن ذكروا تاريخهم وقصصهم منذ بدء الخليقة وتتبعوا أخبار الملوك وتاريخ العرب وأساطيرهم ، ويعد هؤلاء فى الواقع مركز حركة التجميع القصصى وفى أعمالهم اشارات الى أساطير خالدة سنعرض لها لبيان أهميتها فى عالم القصة ودلالات ما تحكيه على حضارة وعراقة ، وعلى دوافع انسانية لا تتأخر بالاسطورة العربية والقصة العربية عن مثيلاتها فى الآداب العالمية .. وعن هؤلاء أخذ كتاب الرواية المتأخرون ، كما أخذت الكثير من القصص الشعبية والملاحم ..

٢ ــ وهناك هؤلاء القصاصون غير الرسميين وما أحسبهم الا مؤلفين للكثير من الحكايات ، يتطوعون تطوعا بتأليفها من خيالهم دون أصول من علم قديم ليتمكنوا من نفوس العامة المجتمعة حولهم ، وربما كان هذا سر النهى عن الاتصال بهم والتنفير من عملهم كما فعل الغزالى فى كتابه الاحياء فقد عد عملهم من المنكرات .

٣ ــ النوع الثالث هم القصاصون الرسميون من أمثال الحسن البصرى ، الا أن اطلاق كلمة قاص على هذا الفريق فيه الكثير من التجوز فما أحسبهم أكثر من وعاظ يعتمدون على التذكير بالآخرة والترهيب من النار .. ومن قصص الحسن البصرى التى تراها كثيرا فى كتب الادب قوله مثلا: «يا ابن آدم لم تكن فكونت وسألت فأعطيت ، وسئلت فمنعت . فبئس ما صنعت ! » وهذا كما ترى أقرب الى الوعظ والارشاد منه الى القصص .. ولعل منه ما كان يفعله تميم الدارى وواصل ابن عطاء وغيرهما .. وقد أسمى الدكتور شوقى ضيف هذا القصص بحق الخطابة الدينية ، وهكذا أخرجها من هذا الميدان القصصى ، والدكتور شوقى محق فى هذا فان الوعظ وان استعان بالقصص ، الا أنه ليس عملا قصصيا فى حد ذاته ..